فتيتُ المسك المحمول

في وصف الصحابة للرسول

"صلى الله عليه وسلم"

أحمد المُغيّرِي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا المُحرر الذي ندعو الله أن يجعله مباركا ليس بجمعٍ جديد، وإنما نرجو أن يكون سُلما مُوصلاً لمحبة السنّة، ودرجة سهلة يتدرج معها الموفق نحو النظر إلى السنّة المُطهرة يكون ذلك كله في سياق يورث محبة وشوقا، وتصديقا وجمعا، ثم نشرا وتبليغا، ولتكون بأوراقها المحدودة سببا في النظر إلى السنّة، واكتشاف ما فيها، والعيش معها، فكم هي تلك الأوقات الطويلة التي صُرفت في غيرها مع القدرة على القراءة، كم فات من حظ عظيم في ترك السنّة ونسيانها، وهذا المحرر يدور على وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم لأحوال وأوقات واختيارات، واعتذارات كلها كانت مشاهدة أمامهم لرسول الله ﷺ، وتحرير هذا الوصف يلزم منه إعادة النظر لتتبعِ هذا الوصف والوقوف عليه، ومعرفة الفروق بينها، وأسبابها، وأنواعها، وهو بابٌ واسع وعظيم، يجد من خلاله المتأمل الكثير من الشواهد الدالة عليه في بطون السنّة المُطهرة؛ غير أن المقصود هو تحديد ذلك الوصف وكيفيته والتنبيه عليه حتى يشعر الناظر بطعمِ هذا الوصف وجماله وهو كاشفٌ عن أمور مُهمة منها دقة الصحابة الرواة في روايتهم للحديث، وكثرة نقلهم، ومدى قُربهم من النبي ﷺ، وهو مُورث لمحبة السنّة، وطول مُلازمتها، والانتفاع بها، وقد حرصت بعد توفيق الله تعالى وتيسيره على اختصار الموضوع قدر الإمكان رغبة لتسهيل النظر فيه، وحُسن العودة إليه، وإلا فهو باب واسعٌ وعظيم ويمكن الاستكثار منه في

كل عنوان كتبناه، ولزيادة التمييز جعلتُ العناوين مميزة بلون آخر، ويمكن للمُطلع الموفق معرفة الشاهد دون تطويل، وقد يسبق ذلك بعض الشرح ليُدرك الموفق المُراد، والله الموفق

وصفٌ دقيق

قد كان الصحابة ﷺ يصفون تلك الأحوال التي تصادفه عليه الصلاة والسلام وتحول بينه وبين عزيمته من صلاة أو نحوها، ويصفون توقفه عما كان يريد ثم يصفون جلوسه ونهوضه إلى ذلك الأمر الذي كان يُريد؛ جاء في مسند أحمد عن محمد بن عمرو بن عطاء بن عباس بن علقمة أخو بني عامر بن لؤي، قال: دخلت على ابن عباس بيت ميمونة زوج النبي ﷺ لغد يوم الجمعة. قال: وكانت ميمونة قد أوصت له به، فكان إذا صلى الجمعة بسط له فيه، ثم انصرف إليه، فجلس فيه للناس. قال: فسأله رجل وأنا أسمع عن الوضوء مما مست النار من الطعام. قال: فرفع ابن عباس يده إلى عينيه، وقد كف بصره، فقال: بصر عيناي هاتان، رأيت رسول الله ﷺ توضأ لصلاة الظهر في بعض حجره، ثم دعا بلال إلى الصلاة، فنهض خارجا، فلما وقف على باب الحجرة لقيته هدية من خبز ولحم بعث بها إليه بعض أصحابه. قال: فرجع رسول الله ﷺ بمن معه، ووضعت لهم في الحجرة. قال: فأكل، وأكلوا معه. قال: ثم نهض رسول الله ﷺ بمن معه إلى الصلاة، وما مس ولا أحد ممن كان معه ماء. قال: ثم صلى بهم، وكان ابن عباس إنما عقل من أمر رسول الله ﷺ آخره.

وصفٌ في العبادة

ومن شدةِ قربهم لرسول الله وذكرهم ما كان يصنع؛ كان أحدهم يختم ذكر الوصف بأنه هكذا رأى رسول الله ﷺ،، ليثبت الخبر، ويكون في غاية الإتقان، ويصف لك كل أطراف ذلك العمل ومنه الوضوء ، يصفه لك مشتملا آدابه وأركانه جاء عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه توضأ فغسل وجهه، أخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق، ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا، أضافها إلى يده الأخرى فغسل بهما وجهه، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى،

ثم مسح برأسه، ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله – يعني اليسرى – ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ .

وحين يقع الإشكال وتأتي المحاجة ويُطلب الأثر والدليل على الفعل، فإن أجمل ما يذكر الصحابي وأكمل ما يُورد حين يستدل بفعل رسول الله ﷺ ويستطرد في ذكر هذا الفعل ويعضده بأنه رأى رسول الله فيالله من عينٍ رأت، وقلب على المودة والتصديق وعى، ودليل سعى به إلى الله، جاء عند البخاري أن أحد التابعين أراد أن يستفهم من الصحابي الجليل ابن عمر ﷺ ذكر له أفعالا كأنها استغربها؛ قال عبيد بن جريج، قلت لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن، رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها، قال: وما هي يا ابن جريج؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السبتية، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهل أنت حتى كان يوم التروية، قال عبد الله: أما الأركان؛ فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين، وأما النعال السبتية؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعل التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال؛ فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل، حتى تنبعث به راحلته

وصفٌ في استدلالتهم

وهم أكثر الناس تحريا في النقل، وأضبطهم في الوصف، ويعرفون من عمله ﷺ ما يفوق الوصف ، ومن ذلك استدلال الراوي على قراءة النبي ﷺ في الصلاة التي لا يُجهر بها وهو إمامٌ لهم باضطراب وتحرك لحيته ﷺ، فهذا الوصف الدقيق يتوخى معه المدقق، كثافة لحيته ﷺ وأنها من جميل السنن المُتبعة التي لا يغيب عن

المؤمن العمل بها ومحبتها، ومحبة من التزم بها، ومنها دقة ملاحظة الصحابة، ومنها إثبات القراءة في الصلاة السرية، ومن دقيق الفوائد التي أشار إليها العلماء أن القراءة المُجزية هي ما تحركت الشفتان بها ، ومنها أن عمامة النبي ﷺ لا تحجب طرفي لحيته لمن يشاهد ذلك من ورائه ، "عن أبي معمر ، قال : قلنا لخباب : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر ؟ قال : نعم، قلنا : بم كنتم تعرفون ذاك ؟ قال : باضطراب لحيته "رواه البخاري

وصف استغاثته

وحين تصيب الناس السّنة، ويدركهم القحط، وتشتد الحاجة إلى الماء، يُدرك الأعرابي ذلك كله، ثم يدخل على رسول الله يقول الراوي واصفا هذا المشهد وما كان فيه من عبارات متناسقة، ومن طلبٍ مُباشر، وما قابلها منه ﷺ من استجابة سريعة فيصف لك الراوي كيف رفع رسول الله يديه، وكيف كانت السماء، ثم كيف أصبحت، وليس أدل من تلك القطرات التي تحادرت على لحيته الشريفة وقد نزل من المنبر، وأُخرى في مشهد آخر يصف عودة هذا الرجل أو غيره وهو يريد أن تتوقف المياه وما جاء على أثرها من وصف للتهدم والانقطاع ، ثم يصف في بعض الروايات ضحك النبي ﷺ من كلمة الأعرابي حين قال " ادعُ الله أن يكشطها عنا " عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال : يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا . قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا " . قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتا . قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما فقال: يا رسول

الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: " اللهم حولنا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر" . فانقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري" والحديث في الصحيحين وهذه رواية مسلم

وصفُهُ في اختياراته

وقد يصف الراوي اختيارات النبي ﷺ للوقت، وتقديمه لوقت دون وقت، ويوم دون يوم، وبهذا تنجلي بعض آثار السنّة ويمكن للمؤمن مسايرة النبي ﷺ في اختيار أول النهار أو اختيار ما بعد الزوال، او اختيار يوم الخميس وكل ذلك قائم على التيسير وعدم التكلف فهي شريعة الرحمة، ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس، أخر الظهر إلى وقت العصر، ثم يجمع بينهما، وإذا زاغت صلى الظهر ثم ركب" وفي اختيار الأيام يقول كعب رضي الله عنه: لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس" .

وصفُهُ في المعجزات

وأما ما أفاء الله عليهم من رؤية الآيات الباهرات والمعجزات المُصدقات؛ فإنهم رضي الله عنهم لا يألون جهدا في ذكر خبر المعجزة، ووصفه، ورسم المشهد، والسبب والحادثة؛ ولكأنك أنت أيها المؤمن الحاضر الشاهد، فعن أنس ﷺ قال رأيت رسول لله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي

رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم" رواه البخاري

وصفُ الترخص

وقد تتوق أنفس السامعين لتذكر تلك المشاهد التي رآها الصحابة عياناً، فيزيد الراوي من جمالِ الوصف، وتتبع حالة المشهد، وسبب الوقوف، وسرعة الرحمة، يتمثل ذلك في سفرة سافرها نبي الله ﷺ في رمضان والناس صيامٌ فأصابهم ظمأ في الطريق وتاقت نفوس الناس إلى الماء وكأنهم تحرجوا من رخصة الفطر فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن شرب أمامهم بعد أن دعى بالقدح مملوءا بالماء ورفعه إليه ليراه الناس، يقول ابن عباس والحديث في المسند "خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في شهر رمضان، فصام حتى مر بغدير في الطريق، وذلك في نحر الظهيرة، قال: فعطش الناس، وجعلوا يمدون أعناقهم، وتتوق أنفسهم إليه، قال: فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء، فأمسكه على يده، حتى رآه الناس، ثم شرب، فشرب الناس" .

وصف ما يتعلق بمسجده الشريف وما فيه

وقد يكون ثمَّ أمر يتنازع فيه الناس بعد رسول الله ﷺ، ويسألون عنه مثل المنبر الذي كان يخطب عليه، كيف صنع، ومما صُنع، وأين كان شجره الذي أُخذ منه، ثم تكون القصة في قالبٍ جميل يورد عليك خبر هذا المنبر، لكن المشهد لا يُغفل أين صلى رسول الله، وكيف صلى ليُخبر الناس كيف يصلون، وليشهدوا دون حائل كيف يصلي؛ في البخاري يقول: أبو حازم بن دينار أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدي وقد امتروا في المنبر مم عوده؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إني لأعرف مما هو، ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله ﷺ، أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة -امرأة من الأنصار قد سماها سهل-: مري غلامك النجار

أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس" فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فأمر بها فوضعت هاهنا، ثم رأيت رسول الله ﷺ صلى عليها وكبر وهو عليها، ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقرى فسجد في أصل المنبر، ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال:" أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي".

وصفٌ في جسده الشريف

وحين يتعلق الأمر بشخصه ﷺ فإنهم رضي الله عنهم يوردون لك الوصف دون لبسٍ، ويذكرون لك ما يحيط به من أحوال، جاء عند البخاري أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

أخبرت أ ن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول". قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا، فانظر لدقة الملاحظة وكمال هذا الأمر فمع غلبة الشتاء واشتداد البرد آلا أن العرق الناشئ عن الشدة يحصل دون تأخير.

وحين يتشوف التابعون لمعرفة وجه رسول الله ﷺ، يزيح الصحابي كل وهم كان يُتوهم كوهم أنه ﷺ قد شابت لحيته، فهذا حريز بن عثمان قال رأيت عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ بحمص والناس يسألونه، فدنوت منه وأنا غلام فقلت: أنت رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: شيخ كان رسول الله ﷺ أم شاب؟ قال: فتبسم "وفي رواية له: " فقلت له: أكان النبي ﷺ صبغ؟ قال: يا ابن أخي، لم يبلغ ذلك " وهذه رواية الإسماعيلي أما رواية البخاري في الصحيح فعن حريز بن عثمان، أنه سأل عبد الله بن بسر صاحب النبي

ﷺ، قال: أرأيت النبي ﷺ كان شيخا ؟ قال: كان في عنفقته شعرات بيض، والعنفقة الشعرات التي في الشفة السُفلى

وصف قراءته

وهذا ابن عباس يصف ذلك اليوم الذي انطلق فيه رسول الله ﷺ يدعو إلى الله، وقد خرج من مكة متوجها إلى سوق عكاظ وقد بذل جهده عليه السلام في ذلك البلاغ وأدى الأمانة في النصح، و يصادف وقت فريضة الفجر في ذلك المسير ليصلي في موطن معروف وهو وادي النخلة بين مكة والطائف، ويأتيه الخبر بأن طائفة من الجن كانت تستمع إلى صوته الكريم وهو يجهر بالقرآن يقول ابن عباس "انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا، فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ ﴿يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وأنزل الله عزوجل على نبيه ﷺ ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن.

وصف استماعه لغيره

ومحبة النبي ﷺ للقرآن ظاهرة معلومة فهو يُطيل به القنوت، وهو يقرأه طويلاً، ويستكثر من الختمات، وليس هذا مورد ذكرها، وإنما الإشارة لمحبة سماعه للقرآن من غيره، فقد كان في مجلس قد دُعي إليه فخرج إليهم ﷺ ومعه عبدالله بن مسعود ﷺ، وحين جلس مع القوم طلب من ابن مسعود أن يُسمعه شيئًا من القرآن، وما كان من ابن مسعود إلا أن يستظهر معنى الطلب الكريم فيأتيه الجواب إني أُحب أن أسمعه من غيري، جاء عند البخاري قال: قال لي النبي ﷺ: " اقرأ علي ."قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: " نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ قال: "حسبك الآن"، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. وساعة من الليل سمع رسول الله عليه وسلم تالياً يتهجد بالقرآن في مسجده الشريف، يسترسل مع الآيات بقوةٍ ليس فيها انقطاع، فينصت ﷺ ويسأل عن التالي وقد عرفه فيقول أهذا عباد، فتجيبه أم المؤمنين عائشة ﷺ بقولها: نعم ثم يُختم المشهد بدعاء النبي ﷺ لهذا التالي وهو لا يدري، وهذا يُشعر بعظيم فرحه ﷺ بمثل هذا العمل وأنه من أعمال الأبرار أهل السبق، فيالله كم من أسباب موجبة للشفاعة، تفوت على أهل الدنيا، ومنها الظفر بالقرآن الشافع المشفع، عن عائشة ﷺ قالت: سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ في المسجد، فقال: " رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا ."وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة: تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت

عباد يصلي في المسجد، فقال: " يا عائشة، أصوت عباد هذا؟ "قلت: نعم، قال: " اللهم ارحم عبادا " رواه البخاري

وصف احتفائه بالسائل

وقد يورد الراوي مشهدا جميلاً لك أن تتخيله، وهو أن يسأل رجلٌ النبي ﷺ، وكثيرا ما يكون مُبهماً في نصوص الأحاديث غير أن هذا السائل يتأخر عليه الجواب من رسول الله ﷺ فلا يجد بُداً من متابعةِ المجلس مع رسول الله ثم يفاجيء في هذا المجلس بأن الرسول ﷺ يبحث عنه ويقول " أين السائل؟"

وهذا التأخر في الجواب له سببه فإما يكون السبب في التأخر انتظار الوحي من الله، وإما أن يكون السائل قد اختطف الحديث المتواصل لرسول الله فيرغب رسول الله ﷺ من مُتابعة الحديث لأهميته ثم يلتفت لهذا السائل بعينه، غير أنه يُحمد له هذا السؤال في الغالب ويكون سببا لفرح الصحابة المتحلقين حول رسول الله ﷺ جاء في صحيح البخاري " عن أبي سعيد الخدري ﷺ يحدث: أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: " إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها" قال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ فقيل له: ما شأنك تكلم النبي ﷺ، ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه، قال: فمسح عنه الرحضاء فقال: " أين السائل؟" وكأنه حمده، فقال: " إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم، إلا آكلة الخضراء أكلت، حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ورتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم

وابن السبيل" أو كما قال النبي ﷺ: " وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة "

وصف رفقه بالأطفال

ومن تلك المشاهد التي حكاها الصحابة ذلك المشهد الجميل، الذي تحكي فيه الصحابية أم قيس وهي أسدية أخوها عكاشة الذي قال فيه الرسول ﷺ أنت منهم؛ تحكي أخته أم قيس ﵂ أنها جاءت رسول الله ﷺ بولدٍ لها صغير لم يأكل الطعام بعد فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن أجلس الطفل في حِجره، ثم بال الصغير، وقد تعامل رسول الله ﷺ برفقٍ عظيم فلم ينزع ثوبه أو يُغير مجلسه، ولم ترصد الرواية غير أنه دعا بماءٍ فرشّ مكان البول ثم نضحه تقول ﵂ أنها أتت بابن لها صغير، لم يأكل الطعام، إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله" رواه البخاري

وصف رحمته

وأما وصفهم رحمته فيتجدد وصف الرواة منهم، وقد يصفون رأفته بالأطفال، ويصفون رحمته بالأمة، وليس أظهر من ذكرِ صبره –عليه الصلاة والسلام– في تبليغ الدين حِين كذبه قومه في مكة، فتوجه نحو الطائف رجاء أن يجد عند رؤوسهم بعض الاستجابة، وربما الحماية، غير أنهم قابلوه عليه الصلاة والسلام بالتكذيب، ووجد منهم مشقة عظيمة أثّرتْ على نفسه فانقبضت نفسه همّا وغمّا حتى هام على وجهه الشريف وحِين حانت ساعة النصر، وبلغ أوان الانتقام، انتقاما لدين الله ممن كذّب واعتدى، رد رسول الله على ملك الجبال أنه يرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يوحده سبحانه، جاء عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته، أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: " لقد لقيت من قومك

ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد . فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال النبي ﷺ: " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا "

وصف الاجتماع من أجل الجلوس معه

أما متابعة تنقله بين أحياء المدينة، وتلبيته للدعوة، فتأتيك أحيانا ضمن وصف الصحابي، فمن ذلك أن عتبان ﷺ أراد منه ﷺ أن يأتيه في بيته حتى يُصلي له رسول الله ﷺ في موضع في بيته، وحين بلغت رسول الله الدعوة أجاب، وما كان من شأنه حين قدم بيت عتبان إلا أن سأل عن الموضع الذي يريد أن يصلي فيه ليبتدر رسول الله الأمر ويبدأ بالصلاة قبل كل شيء، ولكن الراوي ذكر أن رسول الله تأخر جالساً في بيته رغبة منهم في إكرامه لأنه حبسه من الخروج حتى يذوق بعض الطعام، وما أحلى ذلك المشهد وهم يخبر بعضهم بعضا أن رسول الله هنا في هذا البيت فلا يبقى أحد إلا جاء حتى وقفوا بالأبواب، يقول عتبان بن مالك ﷺ وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار – أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت – يا رسول الله – أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى. قال: فقال له رسول الله ﷺ: " سأفعل إن شاء الله"، قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: " أين تحب أن أصلي من بيتك؟ "قال:

فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصفنا، فصلى ركعتين، ثم سلم، قال: وحبسناه على خزيرة صنعناها له، قال: فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن- أو ابن الدخشن -؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: " لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله؟ "قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله ﷺ: " فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله" قال ابن شهاب : ثم سألت الحصين بن محمد الأنصاري - وهو أحد بني سالم، وهو من سراتهم - عن حديث محمود بن الربيع الأنصاري فصدقه بذلك وفي رواية المسند "وحبسناه على خزير صنعناه، فسمع أهل الدار - يعني أهل القرية - فجعلوا يثوبون، فامتلأ البيت.

وصف القدوم عليه في منزله

وما أجمل توصيف الراوي الكريم وهو يصف قدومه على منزل رسول الله ﷺ غير أنه يذكر أنه لم يجد رسول الله، فقد كان خارج البيت، ثم يصف ما أكرموا به من قبل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد أمرت لهم بنوعٍ من الطعام يقوم على طبخ اللحم الصغير ثم يضاف له الدقيق ويسمى الخزيرة، ثم قُدم لهم طبقٌ من تمر، وبينما هم كذلك إذا قدِم عليهم رسول الله ﷺ فتفقد أحوالهم من ناحية الأكل، ثم رأوا كرامة أُخرى، ويصف الراوي حتى صوت الشاة الصغيرة وهي تيعر، ثم يصف ملاطفة رسول الله ﷺ وذلك بأن الشاة هذه هذا أوان ذبحها وأراد بذلك أنه لم يتكلف لهم أصلا خشية أن يرفضوا الكرامة وإنما هي عادة قد صادفوها وهذا مما يفرح به الضيف الكريم دائما وهو أن يصادف ضيافة ليس هو سببها، ثم وصف بقية حديثه مع رسول الله ﷺ مباشرة، جاء في سنن أبي داود رحمه الله بسند صحيح" عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه لقيط بن صبرة قال: كنت وافد بني المنتفق، أو في وفد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ . قال: فلما قدمنا على

رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة أم المؤمنين. قال: فأمرت لنا بخزيرة فصنعت لنا. قال: وأتينا بقناع – ولم يقل قتيبة: القناع. والقناع: الطبق فيه تمر – ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: " هل أصبتم شيئًا؟ ". أو: " أمر لكم بشيء؟ ". قال: قلنا: نعم يا رسول الله. قال: فبينا نحن مع رسول الله ﷺ جلوس إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح ومعه سخلة تيعر، فقال: " ما ولدت يا فلان؟ " قال: بهمة، قال: " فاذبح لنا مكانها شاة " ثم قال: " لا تَحْسِبَنَّ – ولم يقل: لا تَحْسَبَنَّ – أنّا من أجلك ذبحناها، لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد، فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة ". قال: قلت: يا رسول الله، إن لي امرأة، وإن في لسانها شيئًا – يعني البذاء – قال: " فطلقها إذن ". قال: قلت: يا رسول الله، إن لها صحبة، ولي منها ولد. قال: " فمرها – يقول: عظها – فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك كضربك أميتك – تصغير أمة كجارية وجويرية–". فقلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء. قال: " أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائما "

وصف بعض ما كان يعمل في المدينة

وهذه صورة جميلة يلمسها المؤمن المصدق برسول الله ﷺ وأنه لم يكن في محلٍ واحد، بل كان يغشى المجالس، ويذهب لبعض شؤونه، ومنها أن يغشى بنفسه ما يسمى اليوم بالحظيرة، وقد جاءت في السنة باسم " المربد " وهي الأماكن التي تحبس فيها الإبل أو الغنم، ولم يكتفي الراوي بوصف محدد بل وصف المكان ثم وصف ما كان يلبس عليه الصلاة والسلام، ثم وصف ما كان يعمل، وكأنك ترى بأم عينيك هذا المشهد لم يغِبْ عنك منه شيء، عن أنس رضي الله عنه " دخلت على النبي ﷺ بأخ لي يحنكه وهو في مربد له، فرأيته يسم شاة، حسبته قال: في آذانها" رواه البخاري وفي رواية له أخرى " عن أنس رضي الله عنه قال: لما ولدت أم سليم قالت لي: يا أنس، انظر هذا الغلام، فلا يصيبن شيئًا حتى تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه. فغدوت به،

فإذا هو في حائط، وعليه خميصة حريشية، وهو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح" وقد يصاحب الراوي النبي ﷺ فيركب رديفا للنبي الكريم، ويصف لك الراوي أين توجه، وماهي صفة هذا المكان الذي دخله بقوله حائطا من حيطان الأنصار، ثم يصف لك المكان الذي يُحب أن يقضي حاجته فيه وهو المكان المستتر، ولا يغيب عن الراوي ذكر ما يصادفه ﷺ من ذكر بعير حنّ وذرفت عيناه حين رأى رسول الله، جاء في المسند "عن عبد الله بن جعفر، قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثا لا أخبر به أحدا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته، هدف، أو حائش نخل، فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه، فجرجر، وذرفت عيناه، قال بهز وعفان: فلما رأى النبي ﷺ؛ حن وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه -اختار أن يمسح مؤخر الراس-، فسكن، فقال: " من صاحب الجمل؟ " . فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: " أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه؟ -أي تكرهه وتتعبه-"

وصف المبيت معه من أجل العلم

ومن ثمرات المحبة الظاهرة، والتصديق التام، والرغبة الكريمة؛ لتحصيل العلم ومعرفة السنّة، واكتشاف المزيد من آداب الصلاة والتهجد آخر الليل ما ذكره الراوي، حين يصف مبيته مع النبي ﷺ، فيصف لك طريقة نوم النبي ﷺ، ويصف لك مشاركته الاضطجاع على وسادته، ويصف لك بداية نوم النبي ﷺ واستراحة جسده الشريف، ثم سؤال النبي عنه، واهتمامه به، ثم وصف نهوضه من نومه وما سبق ذلك من مسح الوجه عن النوم وتلاوة آيات مُعينة، ثم وصف نوع القربة التي يتوضأ منها وكيفية وجودها وأنها لم تكن مطروحة بالأرض وإنما هي مُعلقة، ووصف صلاته وقيامه كل ذلك في مشهد متواصل وكأنك يا عبدالله ترى حقائق التعبد التام، لتقتدي بنبيك ﷺ، عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول "أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي ﷺ،

وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي، قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح.

وصف ما يُهدى إليه

ومن جميل ما تذكر الروايات الحديثية في وصفِ ذلك المجتمع الذي لم يعرف للتكلف طعماً، وقد كانت الأمور تقوم على حُب النفع، وجميل البذل، وحرص القبول، وعدم الأنفة في قبول الهدية وإن صغُرت، ما يُذكر في ليلة زواجه ﷺ، فبادرت أم سليم رضي الله عنها لصنع طعام يقوم على التمر والسمن والإقط وهو الحَيْس، وجعلته في إناءٍ يشبه القِدر، وأرسلت به ابنها أنس، وحمّلته أمانة الاعتذار لقلة هذا المعمول، فما كان منه ﷺ إلا أن أمر أنس أن يذهب إلى رجالٍ حدد له أسماءهم وقام يدعوهم واحدا تِلو الآخر ليجيبوا دعوة رسول الله حتى يأخذوا بنصيبهم من هذا الطعام وليصبح هذا الإناء وما فيه آية باهرة يراها كل من حضر، جاء عند مسلم رحمه الله من حديث أنس رضي الله عنه قال: تزوج رسول الله ﷺ، فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حيسا، فجعلته في تور، فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ، فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، فقال: " ضعه ". ثم قال: " اذهب، فادع لي فلانا، وفلانا، وفلانا، ومن لقيت ". وسمى رجالا، قال: فدعوت من سمى، ومن لقيت، قال: قلت لأنس:

عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله ﷺ: " يا أنس، هات التور " . قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة، والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: " ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه " . قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: " يا أنس، ارفع " . " قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت؛ كان أكثر، أم حين رفعت؟

وصف بعض ما كان يأكل

ومن تلك الأوصاف الثابتة، التي استقرت في بطون الأحاديث دِقة وصف الصحابي لتلك المائدة التي جلس عليها رسول الله ﷺ، وما سبقها من إجابة الدعوة فهذا رجلٌ خياط، بهذه الصفة، دعى رسول الله فأجابه، فما إن جلس حتى قُرب إليه الطعام، وجاء وصفه بأن فيه خبز ومرق وقديد، وأن الخبز كان من شعير، وقد اشتمل المرق على الدباء وهي القرع وقد نبه بعض شراح الحديث بأن الدباء يُطلق على المدورة من نوعه، فرأى الصحابة تتبع رسول الله ﷺ لها حتى جاء مُصرحا في أحاديث أُخر أنه صار يُقربه إلى رسول الله ﷺ؛ فعن أنس رضي الله عنه " أن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزا من شعير ومرقا فيه دباء وقديد، قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء من حول الصحفة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ . وقال ثمامة، عن أنس: فجعلت أجمع الدباء بين يديه" رواه البخاري

وصف سماعه للشكوى

وقد يصف الراوي مشهدا مرّ عليه دون غيره، ظهر فيه انكساره، وبان فيه تحسره على فوات طاعة، ولك أن تشهد هذه الحياة الطيبة فمع ذوق الإيمان إنما يكون التنافس في تحصيل الطاعات، والرغبة التامة في عدم

النقصان من تلك الطاعة خصوصا طاعة الحج المُؤداة مع الناس والمؤقتة بوقت ما أسرع ما ينتهي؛ فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، تُخبر عن دخوله عليه الصلاة والسلام عليها في الحج، وقد رأت الناس توجهوا نحو البيت يريدون أن يؤدوا النسك غير أنها قد أصابها الحيض فكنتُ أدبا مع رسول الله أنها حُرمت الصلاة وهي تبكي على هذه الواقعة التي ربما فاجئتها، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يقف معها مستمعاً ويسأل عن سبب البكاء، ثم يُرخي عليها بسترٍ من كلماتٍ كلها رحمة وأنه ليس الأمر مختصا بها وإنما أمر مكتوب على هذا الصنف من خلق الله، تقول رضي الله عنهما خرجنا مع رسول الله ﷺ في أشهر الحج، وليالي الحج، وحرم الحج، فنزلنا بسَرِفْ (وهي منطقة معروفة الآن وتسمى النوارية هي من أحياء مكة الشمالية) قالت: فخرج إلى أصحابه فقال: "من لم يكن منكم معه هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه الهدي فلا . . حتى قالت: فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: "ما يبكيك يا هنتاه؟" قلت: سمعت قولك لأصحابك فمنعت العمرة. قال: " وما شأنك؟ " قلت: لا أصلي. قال: " فلا يضيرك، إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجتك، فعسى الله أن يرزقكيها "

رواه البخاري

وصف جُبته

وحين ينفرد الراوي بذكرِ قصة حصلت، وواقعة جاءت أمامه، إلا أن المشهد تضمن ذكر جُبة رسول الله التي يلبسها، وأنه ﷺ قدمها لغيره بعد ما نزعها عنه تكريما لذلك الرجل، وإظهاراً لشريف فعله، جاء عند الإمام النسائي يقول شداد بن الهاد، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غَنم النبي ﷺ سبيا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي

ﷺ . فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا ؟ قال: "قسمته لك." قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال: " إن تصدق الله يصدقك" فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: " أهو هو؟" قالوا: نعم. قال: "صدق الله فصدقه"، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: " اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك" وفي بعض الأحاديث التي تتعلق بسردِ نوعٍ من أنواع العبادة وهي الطهارة متمثلا بالوضوء للصلاة، يأتي الراوي مارا على ذكر جُبة النبي ﷺ وأن بها ضيقاً واضحا؛ اضطره ﷺ أن يخرج يديه من تحت الجبة لضيق الأكمام، والحديث يشعر بأمور منها ملاحظة الصحابي تمام الوصف حتى لا يدع شيئاً من ذكر تلك الواقعة التي شاهدها، جاء في مسند أحمد عن المغيرة، أن رسول الله ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك، قال المغيرة: فذهبت معه بماء، فجاء رسول الله ﷺ، فسكبت عليه ماء، فغسل وجهه، ثم ذهب يخرج يديه من كم جبته، فلم يستطع من ضيق كم الجبة، فأخرجها من تحت جبته، فغسل يديه، ومسح برأسه، ومسح على الخفين، فجاء النبي ﷺ وعبد الرحمن بن عوف يؤمهم، وقد صلى بهم ركعة، فصلى رسول الله ﷺ معهم الركعة التي بقيت عليهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: " أحسنتم "، وفي رواية مسلم "ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كُمّا جبته، فأدخل يديه في الجبة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثم توضأ على خفيه "

وصف تمني معرفته بالخبر

وقد يجد الرواة من قوة الحدث، وبغتة الواقعة، واختلاف ميزان الأمور ما يجعل الصحابة رضي الله عنهم يتمنّوا أن يعلم رسول الله ﷺ بما حدث لهم، وما جرى عليهم، ففي واقعةٍ في السيرة انطلق بعض الصحابة

على أمر رسول الله ﷺ نحو قبيلة جاء بعض أفرادها وهم يَدّعون الإسلام لكنهم في طريق قدوم الصحابة عليهم غدروا بهم، وأحاطوا بهم، ثم أظهروا ما قد أضمروا من الشر والخديعة والمكر، وتسارع الأمر على أولئك الصحابة الكرام فمن رادّ لدعوى الكفر وأنه لا أمانة له، ومن معالج لهم بالقوة حتى قتلوه، ومن مأسور بين أيديهم، جاء عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة – وهو بين عسفان ومكة – ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل، كلهم رام، فاقتصوا آثارهم، حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب. فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا. قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنّا نبيك. فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن في هؤلاء لأسوة. يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته، فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه. قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر. وكانت تقول: إنه لرزق من

الله رزقه خبيبا . فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين. فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عددا

ما أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سنّ الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا . فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطع من لحمه شيئا

وصف تمني أن يعرف رؤياه

ومن جميل ما يُذكر عنهم ﷺ، حِين يصفون تشوقهم لأن يرى أحدهم رؤيا حتى يتشرف بقصها على رسول الله ﷺ، فهذا ابن عمر ﷺ بعد ما ذكر إنصاته ﷺ لبعض أصحابه وهو يقص رؤيا رآها، تمنى هو من جهته أن يرى شيئا في نومه، وما لبِث أن رأى شيئا، فحفظ هذه الرؤية بتفاصيلها، وحبسه الحياء أن يقولها أمام رسول الله ﷺ؛ فأراد من أخته زوجة رسول الله حفصة ﷺ أن تقوم بهذا الأمر؛ فلم تألوا جهداً ﷺ وحكت تلك الرؤيا كما هي، لتكون هذه الرؤيا الصالحة رافد خير، وبشارة فضل، وسائق إيمان جديد لهذا الصحابي الكريم، جاء عند البخاري عن ابن عمر "كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاما شابا وكنت أنام في المسجد على عهد

رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا.

وصف بعض الحوادث

وهذا التعلق التام بشخصه ﷺ جعلهم لا يبعدون عنه في سفرٍ أو حضر وقد يتأخرون عنه وهم المُحبون له، بسبب خصوصية من يرافقه وهي زوجته ﷺ، ثم يقع حادثٌ تكاد تتفطر له أنفسهم ولا يمكنهم تصوره وهو أن يسقط رسول الله صلى الله وسلم من بعيره أمام أعينهم، فيبتدره الأول منهم على وجه السرعة، وما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أرشده لزوجته أم المؤمنين بقوله "عليك المرأة " وهذا من رفقه وعُلو رحمته عليه السلام يقول أنس ﷺ "كنا مع النبي ﷺ مقفله من عسفان، ورسول الله ﷺ على راحلته، وقد أردف صفية بنت حيي، فعثرت ناقته فصرعا جميعا، فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: " عليك المرأة " فقلب ثوبا على وجهه وأتاها فألقاه عليها وأصلح لهما مركبهما فركبا واكتنفنا رسول الله ﷺ، فلما أشرفنا على المدينة قال: " آيبون، تائبون، عابدون لربنا، حامدون" فلم يزل يقول ذلك حتى دخل المدينة.

في وصفِ دعائه

تعددت صفة وصفه ﷺ وقد ارتوت كتب السنّة من الأحاديث التي تنقل جوانب هذه العبادة العظيمة فمن وصف كيفية أدائه لها، أو ذكر أحوالها ومناسباتها وأما ذكر الألفاظ فهذا باب واسع لكن من أعجب ما

ترى، ذكر التعلق بدعاء معين وتكراره بل والتصريح البيّن بالاستكثار منه، جاء هذا على لسان خادم رسول الله ﷺ أنس فعنه ﷺ، أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: " التمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر" فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال ."ثم قدمنا خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروسا، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء حلت، فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: " آذن من حولك" فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب، فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد، فقال: " هذا جبل يحبنا ونحبه " ثم نظر إلى المدينة، فقال: " اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم".

في وصفِ بعض الأحوال التي تعتري مشيته وسرعته فيها

وقد كان يُلاحظ الصحابي الكريم، فجاءة دخول رسول الله ﷺ فبينما هم وقوف متوجهون جهة الجنوب جهة القبلة، يُصلون خلف أحدهم وهو الصديق ﷺ إماماً لهم، فإذا هم بخطوات تأتي من خلفهم تخترق الصفوف فيرونه ﷺ متجاوزا لهم يبغي الصف الأول، ولعل ضيق المسجد وتمام الصفوف جعل الوسيلة للوصول إلى الصف إنما هي بهذا التجاوز المحمود الذي لم يغِب مشهده عن الصحابي سهل الساعدي ﷺ إِذْ يقول " خرج النبي ﷺ يصلح بين بني عمرو بن عوف وحانت الصلاة فجاء بلال، أبا بكر ﷺ فقال: حبس النبي ﷺ فتؤم الناس؟ قال: نعم، إن شئتم. فأقام بلال الصلاة، فتقدم أبو بكر ﷺ، فصلى، فجاء النبي ﷺ يمشي في

الصفوف يشقها شقا، حتى قام في الصف الأول، فأخذ الناس بالتصفيح، قال سهل: هل تدرون ما التصفيح؟ هو التصفيق. وكان أبو بكر ﷺ لا يلتفت في صلاته، فلما أكثروا التفت، فإذا النبي ﷺ في الصف، فأشار إليه: مكانك. فرفع أبو بكر يديه، فحمد الله، ثم رجع القهقرى وراءه وتقدم النبي ﷺ فصلى.

وصف الصُلح الذي يقع على يديه

وقد يصف الراوي مشهد حرصه التام عليه الصلاة والسلام على الصلح بين القلوب، وتواضعه الكريم في إطفاء الفتنة، وتهذيب النفوس، والأمر بذلك، وله شواهد كثيرة من أولها مجيئه نحو بيت فاطمة ﷺ وقد نشأ المشهد من أثرٍ خاص، وموقف داخل البيت، ومغاضبة بشرية، لتكون الأمة خاضعة لأمر الله بالحِلم، وأمره تعالى بحسن الخلق، وأمره بحسن المعاشرة، فيكشف لنا الوصف مجيء رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة وهو رسول الله ليسأل ابنته الكريمة فاطمة ﷺ عن زوجها، فلا تجد بُدّا من التصريح أنه قد كان بينه وبينها شيء "ويبقى مجهولاً "حفاظا على حق الزوج الكريم، وأنه خرج من بيتها ولم يضع جنبه المتعب وقت القائلة عندها كالعادة، ثم يرسل الرسول الكريم إنساناً يبحث عنه ليجد علياً ﷺ قد نام في المسجد، يقول سهل ﷺ " قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: " أين ابن عمك؟ "قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: " انظر أين هو ."فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد. فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: " قم أبا تراب، قم أبا تراب "رواه البخاري وقد يكون في حجرته ﷺ، فيسمع بعض الخصومة بين أصحابه لا يخفى عليه شيء منها، وذلك لمحدودية المكان، فيُرخي الستر ﷺ ويأمر صاحبه الذي يُطالب بأن يُسقط بعض حقه بإشارةٍ يفهمها فيُجيبه الصحابي بالطوعِ المباشر، والسمع السريع؛ ثم يتوجه ﷺ للآخر بسرعة القضاء والمبادرة إليه فقد تنازل خصيمه عن نصف دينه، ووقع

الصلح؛ يقول عبدالله بن كعب بن مالك ﷺ أن كعب بن مالك أخبره أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ، حتى كشف سجف حجرته، ونادى: " يا كعب بن مالك، يا كعب " قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده – أن ضع الشطر من دينك – قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: " قم فاقضه ".

في وصفِ اعتذاره

وهذا الصحابي الجليل جابر ﷺ عندما بلغ به الوجل مبلغه، حيث انتظر رد رسول الله ﷺ يوم سلّم عليه فلم يرد عليه السلام حتى خشي على نفسه جابراً، فلم يؤخر اعتذاره ﷺ بل أبداه مباشرة يقول ﷺ "بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، فانطلقت ثم رجعت وقد قضيتها، فأتيت النبي ﷺ، فسلمت عليه فلم يرد علي فوقع في قلبي ما الله أعلم به، فقلت في نفسي: لعل رسول الله ﷺ وجد علي أني أبطأت عليه، ثم سلمت عليه فلم يرد علي، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى، ثم سلمت عليه فرد علي فقال: " إنما منعني أن أرد عليك أني كنت أصلي" وكان على راحلته متوجها إلى غير القبلة، رواه البخاري.

في وصفِ اعتذاره لغيره

وحين تنطبق الحجة على أحد أصحابه، ويغيب عنه مظهر اللفظ، ويرى أنه لا حجة له مُقنعة، ينساب ذلك اللفظ النبوي الكريم، وانظر لوصفِ علي بن أبي طالب ﷺ لهذا المشهد في حادث حاطب بن أبي بلتعة ﷺ يقول علي" بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها " فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن

بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها . فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: " يا حاطب، ما هذا؟ "قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: " لقد صدقكم" قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: " إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " رواه البخاري. وحِين يغيب عنه أحد أصحابه، ويرى أنه مأمور بأمر شرعي كالزكاة، ثم يصِل له الخبر أنه قد اعتذر، ويقع في النفس أنه في عدادِ المتخلف الذي ليس عذر، لا ينفض ذلك اللقاء المبني على الخبر، حتى يُورد العذر التام لذلك الصحابي الغائب، جاء عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة: فقيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد، وعباس بن عبد المطلب فقال النبي ﷺ: " ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة، ومثلها معها " . والشاهد دفاعه عن خالد في غيبة منه، وأنه قد حبس ما يملك من عتاد في سبيل الله، ولمن تأمل السنّة والأثر نجد أن هذه الصفة وهي الاعتذار للغائب بارزة وظاهر ومن ذلك حديث ابن الدخشن الذي مر معنا .

وصفٌ في اعتذاره للدابة

حِين أقبل ﷺ من المدينة قاصدا البيت الحرام، مُلبيا مع أصحابه ﷺ، أراد الله بحكمته ورحمته غير ما يريدون فوقع أن صد الكفار رسول الله، وتخالفت الأمور، وفي شأن لطيف بركت ناقة رسول الله في الحديبية، وزجرها الزاجر يريد منها الوقوف والمواصلة أي نحو مكة، إلا أنه لم ينفع معها ذلك الزجر المعهود، فسمع النبي ﷺ بعض أصحابه وهو يقول " خلأتِ القصواء " فرد عليهم عليه السلام بأنها لم تخل وليس ذلك لها بِخلق، ولم يكن من طبعها لكنها حُبست بحابس الفيل، وفيه لطافة هذا الاعتذار عن الدابة جاء عند البخاري من حديث عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة، ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: " إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين" فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حلفألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء . فقال النبي ﷺ: " ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل" ثم قال: " والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها" ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء،

يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه. وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

في وصفِ شكايته

وحين يشكو عليه الصلاة والسلام من تعبٍ عارض، وألمٍ يشعر به، فيصف الصحابي ذلك الألم وحتى موضعه من جسده الشريف، ويصف ما يتبع ذلك من أحوالٍ حتى وإن كان فيها شيء الخصوصية، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂ تخاطب ابن أختها عروة والحديث في المسند وأصله في الصحيحين مُختصرا " يا ابن أختي، لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ عمه أمرا عجيبا؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كانت تأخذه الخاصرة فيشتد به جدا، فكنا نقول: أخذ رسول الله ﷺ عرق الكلية، لا نهتدي أن نقول: الخاصرة، ثم أخذت رسول الله ﷺ يوما فاشتدت به جدا، حتى أغمي عليه وخفنا عليه، وفزع الناس إليه، فظننا أن به ذات الجنب فلددناه، ثم سري عن رسول الله ﷺ وأفاق، فعرف أنه قد لد ووجد أثر اللدود، فقال: " ظننتم أن الله عز وجل سلطها علي، ما كان الله يسلطها علي. والذي نفسي بيده، لا يبقى في البيت أحد إلا لد، إلا عمي" فرأيتهم يلدونهم رجلا رجلا، قالت عائشة: ومن في البيت يومئذ، فتذكر فضلهم، فلد الرجال أجمعون، وبلغ اللدود أزواج النبي ﷺ، فلددن امرأة امرأة، حتى بلغ اللدود امرأة منا – قال ابن أبي الزناد: لا أعلمها إلا ميمونة،

قال: وقال بعض الناس: أم سلمة – قالت: إني والله صائمة. فقلنا: بئسما ظننت أن نتركك وقد أقسم رسول الله ﷺ، فلددناها والله يا ابن أختي وإنها لصائمة.

في وصف دخوله للكعبة المُشرفة

ومن المواقف التي يجد فيها الصحابي أنساً خاصا حِين يسرد القصة الموقف الذي شاهده بنفسه، حين دخل رسول الله ﷺ الكعبة المشرفة، فذكر الراوي وصفا دقيقا ذكر فيها المناداة لتُفتح الكعبة وذكر من دخلها، وزمن المكث فيها، وما الذي قام به رسول الله من طاعة في جوفها، جاء عند البخاري مُطولا عن ابن عمر ﷺ قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء ومعه بلال، وعثمان بن طلحة حتى أناخ عند البيت، ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح. فجاءه بالمفتاح، ففتح له الباب، فدخل النبي ﷺ، وأسامة، وبلال، وعثمان، ثم أغلقوا عليهم الباب، فمكث نهارا طويلا، ثم خرج وابتدر الناس الدخول، فسبقتهم، فوجدت بلالا قائما من وراء الباب، فقلت له: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فقال: صلى بين ذينك العمودين المقدمين، وكان البيت على ستة أعمدة سطرين، صلى بين العمودين من السطر المقدم، وجعل باب البيت خلف ظهره، واستقبل بوجهه الذي يستقبلك حين تلج البيت بينه وبين الجدار، قال: ونسيت أن أسأله كم صلى؟ وعند المكان الذي صلى فيه مرمرة حمراء.

وصف دقيق جِلسته

وقد يصف الراوي هيئة جلوسه أو مكان قعوده، وذلك من جميل البيان، فكيف إذا أفاض لك الراوي فأخبرك بمبتدأ القصة، ووصف تحميل الغير لأمانة البلاغ لرسول الله ﷺ، وموضع جلوسه، وكل حديثه الذي جاء على وجه البيان والتعليق بالله تعالى، مشهد جميل لك أن تتصوره كما هو يُخبر علي ﷺ، أن فاطمة اشتكت

ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ:" على مكانكما" فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: " ألا أعلمكما خيرا مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم " متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

وصفُ الشدة

وقد يُعبر الصحابي الكريم عن مشهد الأذى، وغاية الامتحان، وصور الصبر الكريم، لذلك المشهد الأول حين كانت القلة، ولم يكن ثمت مانع، فيذكر جرأة المشركين على رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وكثرة التطاول عليه، ومحاولة إيذائه بشتى الصور، ولو كان ذلك الأذى على صورة موحشة، فيها تقصد قطعه عن عبادته، وتدنيس موضع صلاته، وقطع الهواء النقي عنه ولو بسلى جزور قد أنتن، يقول عبدالله بن مسعود ﷺ "أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم، فجاء به فنظر حتى سجد النبي ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: " اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية

بن خلف، وعقبة بن أبي معيط" وعد السابع فلم يحفظ، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر.

وصفُ ما يعتري وجهه الشريف من التغير

وحين يختطف رسول الله ﷺ عبارة جاهلة، لا تُقدر الكلمة، ولا تعرف منزلة المُخاطب معه، ويقع فيها التجاوز لأمر الله، يكون التغير واضحا في وجه رسول الله يراها الواصف، فيصف حادثة مرت في المدينة، ويذكر حكم رسول الله ﷺ، ثم يثني باعتراض أحد الخصوم، وزلة لسانه باتهام رسول الله ﷺ في حكمه، جاء في البخاري عن عبد الله بن الزبير ﷺ، أنه حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر. فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: " أسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك" فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك. فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: " اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ .

وقد يكون تغير بسبب غضبه ﷺ أن حُدث في حدود الله التي يجب أن تُنفذ، ويلزم الجميع أن يخضع لها، وأن ينأى المجتمع المسلم من تصنيف المجتمع لفئة تقوم بهذه الحدود وهي الضعيفة وأخرى تتجاوز هذه الحدود وتكون أعلى من الانقياد لها وهي الشريفة، جاء في البخاري عن عروة بن الزبير ﷺ أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ، فقال:" أتكلمني في حد من حدود الله؟" قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: " أما بعد، فإنما أهلك

الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت. قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وفي قصة أخرى، يتغير وجهه ﷺ حين يقع اجتهاد من الإمام الذي يصلي بالناس، لكنه خالف السنّة وهي التخفيف على الناس؛ فعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا . فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: " يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة ".

في وصفِ هجرته الكريمة

وقد يصف الراوي هجرته وما حدث فيها من أحداث وكيف بدأت، ورفقاء الدرب، وأماكن الحذر، وما قابل رسول الله ﷺ من مُطاردة، وأسماء بعض المواضع التي مر بها، وملاقاته لبعض أصحابه في الطريق كل ذلك بوصفٍ جميل ودقيق يستعرض فيه السامع كل مُجريات أحداثها وأركانها دون ملل، وما ذاك إلا لعظيم شأن هذه الهجرة وعُلو شأنها في الدين، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂ والحديث بطوله في البخاري "لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، ولا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا، وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك؛ فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي؛ فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل. والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: " إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين" وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: " على رسلك؛ فإني أرجو أن يؤذن لي" فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: " نعم " فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر

وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: " أخرج من عندك ."فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: " فإني قد أذن لي في الخروج" فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: "نعم" قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: " بالثمن " قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب؛ فبذلك سميت ذات النطاق، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ، وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل – وهو من بني عبد بن عدي – هاديا خريتا – والخريت: الماهر بالهداية – قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي – وهو: ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم – أن أباه أخبره، أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله، أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل

منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا . ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت، فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي، فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم، أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني إلا أن قال: " أخف عنا" فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشأم، فكسا الزبير رسول الله ﷺ، وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو

بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل؛ غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: " هذا إن شاء الله المنزل" ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن: " هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر" ويقول: " اللهم إن الأجر أجر الآخره فارحم الأنصار، والمهاجرة" فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت.

خاتمة

أخي المبارك ها أنت قد طوّفت مع سنة النبي ﷺ وعرفت عظيم أثرها على قلبك، ووجدت بردها على صدرك، قد تعلقت نفسك بها وأحببت أن لو طال الحديث عنها، وعرفت كيف وصف الصحابة ﷺ نبي الله ﷺ وصف المرافق المصاحب، ووصف المُحب المُدرك، ووصف الضابط الحافظ، ووصف الناشر والمُبلغ لدين الله، وصفوا دقيق أحواله ووصفوا جميل سيرته، ووصفوا حقائق الشرع الذي جاء على يديه، وهذه القراءة السريعة ماهي إلا طُعم كريم حتى يأذن الله لك وتختم الصحيح ثم تنظر إلى الصحيح الآخر صحيح مسلم ثم تقرأ بقية كتب السنة الصحيحة غير التوقف الآخر مع سيرته الكريمة الشريفة وهذا من العلم الذي يزيدك إيمانا به ومحبة له وتقديما لأمره وخضوعا لحكمه ﷺ، وأما ما كان مسطرا في هذا المُحرر الكريم فقد اجتهدنا فيه فإن كان من صواب فهو من الله تعالى وما كان من خطأ فهو من نفسي والله ورسوله بريئان منه اللهم اغفر لقارئها وناشرها وباذلها والمحب الداعي والمُعين بعد الله في إخراجها وترتيبها، اللهم اجعلنا جميعا مباركين أينما كنا وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

أحمد المُغيّري

فهرس الموضوعات

مُقدمة..... ٢
وصفٌ دقيق..... ٤
وصفٌ في العبادة..... ٤
وصفٌ في استدلالتهم..... ٥
وصف استغاثته..... ٦
وصفٌ في اختياراته..... ٧
وصفٌ في المعجزات..... ٧
وصفُ الترخص..... ٨
وصف مايتعلق بمسجده الشريف ومافيه..... ٨
وصفٌ في جسده الشريف..... ٩
وصف قراءته..... ١٠
وصف استماعه لغيره..... ١٠
وصف احتفائه بالسائل..... ١٢
وصف رفقه بالأطفال..... ١٣
وصف رحمته..... ١٣
وصف الاجتماع من أجل الجلوس معه..... ١٤
وصف القدوم عليه في منزله..... ١٥

وصف بعض ما كان يعمل في المدينة ١٦
وصف المبيت معه من أجل العلم ١٧
وصف مايُهدى إليه ١٨
وصف بعض ماكان يأكل ١٩
وصف سماعه للشكوى ١٩
وصف جُبته ٢٠
وصف تمني معرفته بالخبر ٢١
وصف تمني أن يعرف رؤياه ٢٣
وصف بعض الحوادث ٢٤
في وصفِ دعائه ٢٤
في وصفِ بعض الأحوال التي تعتري مشيته وسرعته فيها ٢٥
وصف الصُلح الذي يقع على يديه ٢٦
في وصفِ اعتذاره ٢٧
في وصفِ اعتذاره لغيره ٢٧
وصفٌ في اعتذاره للدابة ٢٩
في وصفِ شكايته ٣٠
في وصف دخوله للكعبة المُشرفة ٣١
وصف دقيق جِلسته ٣١
وصفُ الشدة ٣٢

وصفُ مايعتري وجهه الشريف من التغير ٣٣

في وصفِ هجرته الكريمة ٣٤

خاتمة..... ٣٩

فهرس الموضوعات ٤٠